أكل السحت طريق للخراب

أكل السحت: جبل الإنسان على حب المال والرغبة في المزيد منه، وقد روّض البعض هذه الرغبة الإنسانية العميقة فكان سعيه للمال؛ رغبة في عبادة الله تعالى وتحقيقا لعمارة الأرض، والاستغناء عن سؤال الناس ونفع المسلمين بما يملك، إلى غير ذلك من أغراض شريفة ترفع مقام الإنسان، وتثقل موازينه وتجعله مع عباد الله الصالحين في جنات النعيم.

وآخرون غلبتهم أنفسهم فتوحشوا في طلب المال – دون مراعاة للحلال والحرام- لا لشيء إلا لكي تكبر حساباتهم وتزداد أموالهم، لأنهم ظنوا أن المال حيثما كان؛ فمعه السعادة والقوة والغلبة، والكلمة التي لا ترد، وهذه المكاسب التي لا تتقيد بقيود الدين، يسميها القرآن: "سحت.

معنى السحت

ما معنى كلمة "سحت " ؟

بالعودة إلى المعاجم العربية نجد الخليل بن أحمد يعرّف السحت فيقول: (كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار)[1] وإنما يدرك الناس ما يصيب آكل السحت من عار، إذا كان ميزان الأخلاق يعمل بشكل صحيح.

وينتقل إلى آثار المال الذي يعود من السحت على صاحبه فيقول: (والسُّحْتُ: جَهْدُ العذاب. وسحتناهم- وأسحتنا بهم لغة- أي: بلغنا مجهودهم في المشقّة عليهم) [2]. فإذا ظن آكل السحت أنه يوسع على نفسه ويجلب لها النعيم فقد أخطأ خطأ كبيرا .

ويذكر العسكري بعض آثار السحت فيقول:(وَيجوز أَن يُقَال إِن السُّحت: الْحَرَام الَّذِي يستأصل الطَّاعَات من قَوْلنَا سحته إِذا استأصلته)[3] ،ويضيف ابن سيده أثرا سيئا آخر فيقول: (وكل شَيْء غير مبارك فِيهِ ،سُحْت)[4] ومن الملاحظ أن المعاجم العربية تعتني بذكر آثار السحت المدمرة.

صور السحت

ماهي صور السحت ؟

للسحت صورا متعددة بعضها قديم متجدد :

1- الرشوة التي قدمها يهود خيبر لعبد الله بن رواحه رضي الله عنه لكي ينقص من المبلغ المطلوب منهم دفعه للنبي ﷺ ، فكان رد عبد الله بن رواحه، الذي يدل على نزاهة النفس وبعدها عن الخبث مهما كان مغريا: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، وَاللهِ إِنَّكُمْ لَمِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللهِ إِلَيَّ وَمَا ذَاكَ بِحَامِلِي عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ. فَأَمَّا مَا عَرَّضْتُمْ مِنَ الرُّشْوَةِ فَإِنَّهَا سُحْتٌ. وَإِنَّا لاَ نَأْكُلُهَا.فَقَالُوا: بِهذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ[5].

ومن صور السحت التي قد تخفى على كثيرين قول ابن مسعود :(السُّحْتُ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ حَاجَةً فَيُهْدِيَ إِلَيْهِ هَدِيَّةً فَيَقْبَلُهَا. وَقَالَ ابْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادٍ: مِنَ السُّحْتِ أَنْ يَأْكُلَ الرَّجُلُ بِجَاهِهِ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ جَاهٌ عِنْدَ السُّلْطَانِ فَيَسْأَلُهُ إِنْسَانٌ حَاجَةً فَلَا يَقْضِيهَا إِلَّا بِرِشْوَةٍ يَأْخُذُهَا) [6] وهذا مناف لمكارم الأخلاق ولما ينبغي أن يكون عليه الصاحب مع صاحبه، فقد (أَتَى عقبَة بن عَمْرو إِلَى أَهله، فَإِذا هَدِيَّة، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: الَّذِي شفعت لَهُ، فَقَالَ: أخرجوها أتعجل أجر شَفَاعَتِي فِي الدُّنْيَا. وَرُوِيَ عَن عبد الله بن جَعْفَر أَنه كلم عليا فِي حَاجَة دهقان[تاجر]، فَبعث إِلَى عبد الله بن جَعْفَر بِأَرْبَعِينَ ألفا، فَقَالَ: ردوهَا عَلَيْهِ، فَإِنَّا أهل بَيت لَا نبيع الْمَعْرُوف) [7].

(وَقَالَ الْحَكَمُ: كَانَ يُقَالُ: السُّحْتُ الرِّشْوَةُ فِي الْحُكْمِ ،والسحت كل ما يأخذه العامل والحاكم على إبطال حق أو تحقيق باطل وكذلك ما يأخذه على القضاء بالحق)[8].

وقد تختفي الرشوة تحت قناع من الأسماء المقبولة اجتماعيا؛ كالهدايا والإكراميات والعمولة مقابل الاستشارة، والعمل بأجر لدى الراشي، وتقديم تسهيلات للمرتشي في البيع والشراء.

2- ما يحصل عليه الرائش وهو الذي يمشي بين الناس لكي يتخذ المسؤول إجراءا تضيع معه الحقوق، ثم يأخذ على هذا العمل الخبيث مالا يسميه عمولة وحقيقته أنه سحت.

3-ما أخذ بسيف الحياء وعلم الآخذ أن نفس المعطي لا ترضى وإنما دفع هذا المال حياء من الآخذ أو الناس، قال ملا علي القاري:(وَبِسَيْفِ الْحَيَاءِ يُحْرَمُ أَخْذَ الْعَطَاءِ) [9]

4-اقتطاع حقوق الناس، قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ» [10].

ويدخل في هذا الوعيد ما ينقصه أصحاب الأعمال من مرتبات الموظفين دون تقصير من الموظفين أو إخلال بواجبات عملهم، وقد يدخل في ذلك من يسولون لصاحب العمل أخذ هذا السحت، ومن يعينونه على صياغة هذا الانتقاص بشكل قانوني.

5-من يمد يده لسؤال الناس مدعيا للفقر والحاجة وهو ليس كذلك.

آثار أكل السحت

أذكر بعض الآثار المترتبة على أكل الست ؟

1-ظلمة القلب، وكسل الجوارح عن الطاعة.

2-عدم قبول الدعاء ذَكَرَ [النبي ﷺ] الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ " [11]

3-الحرمان من التخلق بالأخلاق الحسنة ،قال مَنْصُورٍ الْفَقِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِذَا رُشْوَةٌ مِنْ بَابِ بَيْتٍ تَقَمَّحَتْ
لِتَدْخُلَ فِيهِ وَالْأَمَانَةُ فِيهِ
سَعَتْ هَرَبًا مِنْهَا وَوَلَّتْ كَأَنَّهَا
حَلِيمٌ تَنَحَّى عَنْ جِوَارِ سَفِيهِ [12]

4-حرمان آكل السحت من دخول الجنة، قال ﷺ :"لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت [13] وقد يدخله الله تعالى بعد التوبة أو يطهره بالبلاء أو بالنار.

5- فساد النظام الكوني والاجتماعي، قالت اليهود لما رفض عبد الله بن رواحة ما قدموه من رشوة له:" بهذا قامت السموات والأرض" فإذا انتشر الظلم والسحت انهدم نظام العالم.

أسباب أكل السحت

ماهي أسباب أكل الست ؟

هذه بعض الأسباب في أكل بعض الناس للسحت :

- الطمع يورد الإنسان المهالك ويحرمه من الاستمتاع بما بين يديه من نعم، وقد يشتبه عند البعض بالطموح، لكن الفارق بينهما أن الطامح يعمل ولا يكل بينما الطماع يتمنى فقط دون أن يسعى لتحقيق أمنيته.

- قرناء السوء الذين يزينون الباطل ويسمونه بغير اسمه؛ من أصدقاء وزوجة وأبناء، تكثر مطالبهم وتتطلع أعينهم لعيشة مترفة مع ضعف دخلهم المالي، فيضغطون على رب الأسرة حتى يفتح باب الحرام على استحياء أولا، ثم مع لوم النفس ثانيا، وثالثا يقدم المبررات لنفسه وللآخرين، ورابعا يصير داعية لأكل الحرام حتى لا يوصف بالأوصاف الذميمة وحده.

- غياب الخوف من الله، وذلك لغلبة الدنيا وغفلة القلب وعدم تجديد الإيمان.

- عدم الاعتبار بما حدث لمن أكل السحت؛ من عيشة ضنك تشمل كل وجوه التعب تظهر عليه في لحظات مهما حاول أن يخفيها بمظاهر البزخ والترف.

- جهل المجتمع بالآثار السلبية لأكل السحت، والتي لا تتوقف عند آكل السحت وأسرته فحسب، بل تصيب منظومة الأخلاق والقيم وتتسرب آثرها إلى المجتمع بأسره، من إحباط لدى الضعاف الذين لا يستطيعون الوصول لحقوقهم، ومن تغول للأقوياء يؤدي إلى ضياع العدالة، ومن فساد في كل مناحي الحياة يعاني منه الغني والفقير والقوي والضعيف.

العلاج

كيف يعالج الإنسان نفسه من السحت ؟

1-تنمية مراقبة الله تعالى.

2-إدراك أن المال الحرام لا يمكن أن يجلب السعادة والسعة، بل إن دعوات أصحابه تتحول إلى لعنات تحرم آكل الحرام من الراحة والعافية وجميع ما يرجوه من خير.

3-تفعيل دور المؤسسات الرقابية التي تصون المال العام والخاص دون أن تعطل عجلة التنمية، وإيقاع العقوبات الرادعة التي تجعل من يأكل المال الحرام يفكر ألف مرة قبل أن يأخذ الخطوة الأولى.

4-إتاحة الفرص لأكل الحلال؛ بتحقيق التعليم والتدريب الملائم لسوق العمل، وتيسير المشاريع الصغيرة والمتوسطة، وتحقيق التنافس الشريف وتجريم الاحتكار.

5-تنمية المراقبة المجتمعية؛ من خلال فرض الشفافية قولا وعملا، واستشعار المجتمع أن رقابته بالحق والعدل هي أحد الضمانات لتقليل معدل الفساد حين تغيب رقابة الدولة أو تضعف، { لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } [المائدة: 63]

6- **التطهر من السحت**، ذكر عبد الله بن المبارك في شروط التوبة :(النَّدَمُ وَالْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الْعَوْدِ، وَرَدُّ الْمَظْلِمَةِ ،وَأَدَاءُ مَا ضَيَّعَ مِنَ الْفَرَائِضِ، وَأَنْ يَعْمِدَ إِلَى الْبَدَنِ الَّذِي رَبَّاهُ بِالسُّحْتِ فَيُذِيبُهُ بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ حَتَّى يَنْشَأَ لَهُ لَحْمٌ طَيِّبٌ، وَأَنْ يُذِيقَ نَفْسَهُ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَاقَهَا لَذَّةَ الْمَعْصِيَةِ، قُلْتُ:"الإمام ابن حجر" وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مُكَمِّلَاتٌ)[14]

[1] معجم العين باب الحاء والسين والتاء معهما س ح ت يستعمل فقط

[2] السابق

[3] الفروق اللغوية للعسكري

[4] المخصص

[5] موطأ مالك

[6] تفسير القرطبي

[7] عمدة القاري شرح صحيح البخاري بتصرف يسير

[8] شرح صحيح البخاري لابن بطال

[9] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

[10] صحيح مسلم

[11] جزء من حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه

[12] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

[13] صحيح ابن حبان وقال الشيخ الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم

[14] فتح الباري لابن حجر